Jordan Journal of Islamic Studies

Volume 15
Issue 1 *1/1/2019*

Article 12

3-2-2019

دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل The Significance of the Past Simple Verb in the Quranic Description of the Israelis

Imad al-Din Nayef al-Shammari
Al-Hussein Bin Talal University

Atef Adel Al-Mahameed
Al-Hussein Bin Talal University, atefadel89@yahoo.com

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois

Part of the Islamic Studies Commons

Recommended Citation

al-Shammari, Imad al-Din Nayef and Al-Mahameed, Atef Adel (2019) "دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل The Significance of the Past Simple Verb in the Quranic Description of the Israelis," *Jordan Journal of Islamic Studies*: Vol. 15: Iss. 1, Article 12.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Jordan Journal of Islamic Studies by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

mari and Al-Mahameed: ????? ????? ?????? ?? ??????? ??????? ???? ??????? The Significance of the Past Simple Verb in the Quranic Description of the

دلالة الفعل الماضي في التوصيف القرآني لبني إسرائيل

د. عماد الدين نايف الشمري* د. عاطف عادل المحاميد**

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/١١/٢٨م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/٢/٦م

ملخص

تناولت هذه الدراسة الفعل الماضي في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل، مبيّنةً الفرق بين الخطاب الفعليّ والاسميّ، والأثر الدلاليّ للفعل الماضي المسند لضمائر الغائب في تأدية الحدث المقترن بالزمن، ودور السياق في تحديد الزمن الجديد، وهو ما يُعرف بـ(الجهة)؛ إذ إنّ هنالك فرقاً بيّناً بين الجهة والزمن، فالزمن وإن كان هو أصل الوضع، إلّا أنّ الجهة منوطة بالعوامل اللغويّة المرافقة للفعل كأسلوب الشرط والتوكيد والنفي والنواسخ الفعليّة وغيرها من العوامل الأخرى، وقد بيّنت الدراسة أثر الخطاب الفعليّ، وانسجامه مع السياق والمقام وأحوال المخاطبين، إذ يمكن لنا من خلاله معرفة البعد النفسيّ للقوم المخاطَبين، كما وقفت الدراسة على بعض الأفعال، التي كان لها مدلولات خاصة، في توصيف القرآن لبني إسرائيل، مثل: الفعل (اتخذ) و(آتى) (لعن) وغيرها من الأفعال.

Abstract

This study deals with the past verb in the Qur'anic description of the Israelis. It clarifies the difference between verbal and nominal discourse, in addition to the semantic effect of the past verb that is predicated to the absent pronouns in performing the event associated with time, and the role of the context in determining the new time, which is known as (Aljiha) or the addressee, as there is a difference between time and Aljiha. While time is the origin of the original or lexical meaning, Aljiha is contingent upon the linguistic factors that are associated with the verb, such as conditional sentence, emphasis, negation, verbal annulment (Al-nawasekh), and other factors. The study also shows the impact of the verbal discourse and its harmony with the position and status of the addressees through which the psychological dimension of the addressed group is known. The study sheds light on some of the verbs which had special meanings in the Qur'anic description of Israelis. This includes many verbs among them (>itaḫaḏa), (>ātā), and (la<ana).

المقدمة.

اتّخذ الإعجاز البيانيّ واللغويّ أشكالاً كثيرة، ارتبط بعضها بالجرس والصّوت، وآخر بالألفاظ وانتقائها، وثالث بالنّظم والتّركيب، ذلك النّظم البديع الذي لا يجاريه نظم ولا يدانيه، حارت به الأسماع، وأبهرت به العقول ولانت له القلوب.

أمام ذلك الأسلوب الحكيم المنسجم بآياته مع أحوال المخاطَبين، سواء أكانوا مؤمنين مصدّقين أم كافرين منكرين، تولّدت فرضيّة الدراسة ومشكلتها، التي ترى في الإعجاز اللغويّ أصل الإعجاز، فتقف على آيات القرآن محللةً جُمَله وأساليبه اللغويّة المتنوّعة؛ للتوصّل إلى دلالات الفعل الماضي في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل، وهذه الدراسة هي حلقة ضمن سلسلة

* أستاذ مساعد، جامعة الحسين بن طلال.

** أستاذ مساعد، جامعة الحسين بن طلال.

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

من الدراسات المتعلقة بالفعل الماضي، ابتدأت بهذه الدراسة، التي عُنيت بالتوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل، ممّا جاء فيه الخطاب بضمير الغائب، وانتهاءً بدراسات تالية، تناولت الفعل الماضي ودلالاته في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل باتّجاهاته المختلفة، وهذه الدراسة وأخواتها لم تغفل السّياق العام للآيات وأحوال المتلقين؛ للوصول إلى النتيجة المبتغاة، وهي إظهار ما في القرآن من براعة في السبك والنظم والإتقان من ناحية، وكشف حقيقة بني إسرائيل وفضح زيفهم وبطلان ما ذهبوا إليه من ناحية أخرى.

وستجيب الدراسة على عدد من الأسئلة، من أهمّها: ما مدى التزام الفعل الماضي في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل بأصل الوضع؟ هل هنالك فرقٌ بين الجهة والزمن؟ ما الدور الذي أدّاه الفعل الماضي في أساليب الشرط والنفي والتوكيد والاستفهام؟ ما دلالة بناء الماضي للمجهول؟ ما القيمة الدلاليّة التي أدّاها الفعل الماضي في المصدر المؤول؟ ما القيمة الدلاليّة التي أدّاها الفعل الماضي صلة الموصول؟

واتّبعت هذه الدّراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ الاستقصائيّ، حيث نهضت بجمع الآيات التي ورد فيها استعمال الفعل الماضي، في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل، منوطاً بالعوامل اللغويّة المرافقة للفعل، كأسلوب الشرط والتوكيد والنفي والنواسخ الفعليّة، وغيرها من العوامل الأخرى، التي أثّرت في دلالة الفعل الماضي كأسباب النزول والسياق وأحوال المخاطبين، فقد رصدت هذه الدراسة ما طرأ على الفعل الماضي من تحوّلات بنائيّة صرفيّة في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل؛ مبيّنة أثر الصّيغة في كشف المدلولات الخاصة لتلك الأفعال، سواء أكانت مدلولات عقديّة، أم نفسيّة أم اجتماعيّة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هنالك عدداً من الدّراسات التي تماست مع مضمون هذه الدّراسة، ومن أبرزها: دراسة (عرفة عبد المقصود عامر) الموسومة بـ(خطاب القرآن الكريم عن اليهود). ودراسة (فوزي سمارة) الموسومة بـ(اليهود في القرآن الكريم)، ودراسة (دلدار غفور) الموسومة بـ (بنية التّركيب الفعليّ في القرآن الكريم (دراسة دلاليّة في آيات الجهاد)، المنشورة في مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة، المجلد(١١)، العدد(٢)، سنة ٢٠١٢م. ودراسة (إسماعيل يوسفيّ) الموسومة بـ(السّياق وأثره في توجيه الخطاب القرآنيّ في كتاب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر).

وقد اختلفت هذه الدّراسة عن سابقاتها في أنّها اختصّت بالفعل الماضي واستعمالاته وحالاته المتعدّدة والتحوّلات التي تطرأ عليه في السياق القرآني؛ مبيّنةً دلالة الفعل الماضي البنائيّة والتركيبيّة والسياقيّة، والكشف عن أهميّته الخاصة في التوصيف القرآني لبني إسرائيل، في حين نجد دراستيْ (عرفة عبد المقصود) و(فوزي سمارة) لم تتعدَّيا كونهما دراستين عامتين، أظهرتا بعض صفات اليهود، التي جاءت متناثرة في الخطاب القرآنيّ لليهود، فهما دراستان فكريّتان، أمّا دراسة (دلدار غفور) السابقة الذكر، فقد تناولت بنية الأفعال في موضوع واحد وهو الجهاد، ولم تعنَ ببني إسرائيل على وجه الخصوص، واهتمت دراسة (إسماعيل يوسفيّ) بالحديث عن السياق وأثره في الخطاب القرآنيّ عامة، ولم تختص بخطاب بني إسرائيل.

وقد اقتضت طبيعة الدّراسة أن تكونَ في ثلاثة مباحث وخاتمة، وأُدرج تحت المبحث الثالث منها مجموعة من المطالب، وهذه المباحث موزّعة على النّحو الآتي:

أمّا المبحث الأول، فخصّص لدراسة نوعيْ الإسناد الفعلي والاسمي والتفريق بينهما.

أمّا المبحث الثّاني، فجاء بعنوان (الفرق بين الخطاب بالفعل الماضي والخطاب بالفعل المضارع.)، إذ تناولت الدّراسة حديثاً عن أهميّة السياق في تحديد أزمنة الأفعال ودلالاتها.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

mari and Al-Mahameed: ????? ????? ?????? ?? ??????? ??????? ???? ??????? The Significance of the Past Simple Verb in the Quranic Description of the

أمّا المبحث الثّالث من الدّراسة، فقد جاء موسوماً بـ (أحوال الفعل الماضي في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل)، وجعلتُ مسائله موزعة في اثني عشر مطلباً جاءت مفصلة في مظانها.

ثمّ أتبعت هذه المباحث بخاتمة ضُمّنت فيها بعض النّتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدّراسة.

التمهيد.

اللغة –في جوهرها– نظام من الرّموز والإشارات، تُعبّر عن الأفكار والمشاعر[١]، واللغة في مجملها نظام اتّصال بين طرفين، وهي كذلك نظامٌ لتبادل المشاعر والأفكار ضمن رسالة لغويّة، تحكمها لغة الكلام ومحيطه وقرائنه[٢]، ولا يمكننا الحديث عن اللغة بمنأى عن السّياق؛ فهما صنوان لا ينفكان، إذ لا يمكن أن يسلخ النّص عن محيطه وبيئته الاجتماعيّة التي نطق فيها، فالسّياق –إذن– هو مولّد اللغة وصانع شكل الخطاب فيها؛ إذ إنّه –أيّ السياق– يفسّر الكثير من العمليّات المصاحبة لأداء اللغة في وظيفتها التّواصليّة والإبلاغيّة لدى كلّ من منتج الكلام ومتلقّيه، وهو ركنٌ أساسٌ في فهم الرسالة اللغويّة[٣]، وللخطاب الفعليّ ميزته في النّص القرآنيّ؛ إذ إنّ الزمن الذي تحويه الأفعال له دلالاته المتنوّعة في سياقه الذي قِيلَ فيه من ناحية، وأحوال المتلقي والمخاطب من ناحية أخرى، يقول فاضل السّامرائيّ في حديثه عن السّياق القرآنيّ: "إنّ للسّياق الذي ترد فيه الآية سمةً تعبيريّةً خاصةً، فتتردّد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة"[٤].

وممّا لا شكّ فيه، أنّ للموقف أهميّةً كبيرةً في بناء الجمل والنص عامّة؛ فالنص مرهون بسياقه، الذي قِيل فيه، ولعلّ ما ذهب إليه (جون لاينز) في العصر الحديث ما هو إلا تأكيدٌ لما ذهب إليه نحاةُ العربيّة وبلاغيّوها القدامى، إذ يقول: "إنّ علينا ألّا نعدّ استقامة النّحو مطابقاً لقبول الجملة؛ فالجمل جميعها سليمة التّركيب نحويّاً، والتّركيب الدّلاليّ السليم شرط في القبول، وكذلك موافقة الجملة للسّياق شرط أساس أيضاً"[٥]، والفكرة ذاتها نجدها لدى الجرجانيّ في دراسته لعلاقة إثبات إعجاز القرآن أمام بلغاء العرب وفصحائهم، إذ يرى الجرجانيّ: "أنْ ليس الغرض بنظم الكلم إنْ توالت ألفاظها في النطق، بل إنْ تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[٦].

المبحث الأول:

الفرق بين الإسناد الفعليّ والإسناد الاسميّ.

إنّ الدارس للجملة العربيّة يدرك كنه طبيعتها، التي فرضت على النحاة أن يبحثوا عن عنصري الإسناد فيها –المسند والمسند إليه– وما يتعلّق بهذين الركنين من ذكر أو حذف، أو تقديم أو تأخير، أو تعريف أو تنكير، أو إطلاق أو تقييد، وقد تنبّه علماء العربيّة إلى ما يمكن أنْ تُحدثه تلك التحويلات السابقة لركني الجملة بنوعيها –الاسميّة والفعليّة– ولم يقفوا عند ذلك الحد، بل أشاروا في تعريفهم للمسند إلى أنّه: "ما يُمكن أن تُعرف به الجملة، سواءٌ أكانت اسميّةً أم فعليّةً؛ لأنّ المسند إليه سواءٌ أكان (فاعلاً) أم (مبتدأ)، فقد منع النحاة إتيانه جملةً؛ لأنّه محور الحديث، وهو وظيفة إفراديّة، وهو محدَّث عنه، ولابدّ أن يكون اسماً ولا يمكن أن يكون جملةً[٧]، وقد تنبّه البلاغيّون لهذه الفكرة، وبرعوا في فهمها أيّما فهم، يقول الجرجانيّ: "معلومٌ أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعلّق فيما بينها طرقٌ معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلّق اسم باسم، وتعلّق اسم بفعل، وتعلّق حرف بهما، فالاسم يتعلّق بالاسم بأن يكون خبراً عنه، أو حالاً منه"[٨]، وقد أشار السيوطيّ إلى ما يقرب من الرأي السابق

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

في تأليف الجملة، يقول: "الحاصلُ أنّ الكلام لا يتأتّى إلّا من اسمين أو من اسم وفعل فلا يتأتّى من فعلين، ولا من حرفين، ولا من اسم وحرف، ولا فعل وحرف، ولا كلمة واحدة؛ لأنّ الإفادة إنّما تحصل بالإسناد، وهو لا بدّ له من طرفين: مسند ومسند إليه، فالاسم بحسب الوضع يصلح أن يكون مسنداً ومسنداً إليه، والحرف لا يصلح لأحدهما"[٩]. فالسيوطيّ في قوله يضع لنا معياراً في الهيئات التي يمكن أن تجيء عليها الجملة، مستنداً في ذلك على تأكيد علاقة الإسناد، التي تنظم العلاقة بين مكوّنات الجملة العربيّة؛ فقوام الاسم أنّه مستقل بالمفهوميّة تماماً؛ لذا وقع مسنداً ومسنداً إليه، وقوام حقيقة الحرف أنّه غير مستقلّ أصلاً؛ ولذا لا يقع مسنداً ومسنداً إليه، وقوام حقيقة الفعل أنّه مستقل بالمفهوميّة، لكن من جهة الإسناد فقط؛ لذا لا يقع إلا مسنداً فقط[١٠].

ومن اللغويّين منْ فرّق بين نوعي الجمل من خلال دلالتها وموضوعها، ومن أولئك فندريس، إذ يرى أنّ: "موضوع الجملة الفعليّة أنْ تأمر بحدث، أو أنْ تقرّر حدثاً أو أنْ تتخيّل حدثاً، أمّا الجملة الاسميّة، فيُعبّر بها عن نسبة صفة إلى شيء نحو: البيتُ جديدٌ"[١١]. فالحدث –عنده– هو أصل الحكم على الجملة الفعليّة، ونسبة الصّفة إلى الشيء هي أصل الحكم على الاسم، ولا يمكن إغفال الرتبة؛ إذ لها دورٌ خطير في تحديد نوع الجمل وتمييزها، ولعلّ مِزيّة الإعراب التي تحظى بها اللغة العربيّة قد كفتها مؤونة البحث عن نوع الجملة، التي يطرأ عليها تغيّرٌ في الرتبة، وتجدر الإشارة –هنا– إلى أنّ هنالك اختلافاً بيّناً بين النحاة والبلاغيّين في نظرتهم، التي ينظرون بها إلى الجمل؛ فالفاعل حين يتقدّم على الفعل فذلك في نظر البلاغيّين أنّه يفارق معناه النحويّ، أي صفته النحويّة إلى صفة أخرى، وفي المقابل نجد النحاة يغيّرون نوع الجملة بمجرّد تقدّم الفاعل فتتحوّل عندهم الجملة الفعليّة إلى اسميّة، مغفلين بذلك الجانب المعنويّ للتقديم[١٢].

ويعدّ الجرجانيّ من أوائل البلاغيّين الذين تنبّهوا إلى دلالات التقديم، فقد سمّى الركن المتقدّم في هذا الباب فاعلاً، يقول الجرجانيّ: "إذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل فقدّمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه، فقلت: زيدٌ قد فعل، وأنا فعلتُ، وأنتَ فعلتَ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل"[١٣]. فالجرجانيّ يقرّ بأنّ التقديم لا يغيّر نوع الإسناد؛ لأنّ المسند ما زال فعلاً في الحالتين، والمسند الذي يمثّل في النظم مركز التعليق هو الذي يحدّد نوع الجملة من خلال دلالته، فإن كان المسند فعلاً يدلّ على (الحدث والحدوث)، فالجملة فعليّة، سواءٌ أتقدّم عليه الفاعل المتعلّق به أم تأخّر عنه، وإن كان المسند (اسماً جامداً) أو وصفاً دالّاً على الثبوت، فالجملة اسميّة أيّاً كان موضع المسند إليه المتعلّق بالمسند متقدّماً عليه أم متأخّراً عنه[١٤]. وللخطيب القزوينيّ في تمييز الجمل رأي ينمّ عن إدراك كبير لأهميّة المسند في تبيان نوع الجملة، يقول القزوينيّ: "وأمّا كونه فعلاً، فللتقيّد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخطر ما يمكن مع إفادة التجدّد، وأمّا كونه اسماً، فلإفادة عدم التقيّد والتجدّد"[١٥]، ومن النحاة المحدثين من اشترط لكون الجملة فعليّة احتواؤها على الفعل التام، الذي يُعدّ عنصراً إسناديّاً لا يمكن إغفاله أو تناسيه؛ إذ إنّه يحوي حدثاً وزمناً معاً، يفيد إسناد الحدث المحدد فيه في الزمن المحدد إلى المسند إليه[١٦].

وهذا الرأي ليس بعيداً عمّا ذهبت إليه النظريّة الوظيفيّة في تمييزها بين الجمل؛ إذ إنّ المعيار –لديهم– هو مراعاة حال الخطاب وأحوال التكلّم؛ فتحديد موضع المسند في الترتيب المحايد ينبع من الحقيقة المعروفة، وهي أنّ المرء يبدأ كلامه بالمعلومات المعروفة لدى المتكلّم، أو التي سبقت الإشارة إليها أو التمهيد لها في السياق، ثم يضيف بعد ذلك المعلومة الجديدة، التي يظنّ أنّها كفيلة بإثراء القارئ أو السامع[١٧].

والمتمعّن في كتاب الله يلحظُ أنّ اسميّة المسند أو فعليته أصبحت ظاهرةً قرآنيّة عامّة؛ وسمة ملازمة، فقد اتّضحت مواضع استخداماتها حتى أصبحت تُعرف بها، ففي المواضع التي يراد بها بيان قدرة الله وقوته وعذابه أو رحمته، جيء بالأخبار

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

الاسميّة وكذلك مع الأنبياء والملائكة في مواطن الطاعة والتسامح، أمّا الخبر الفعليّ، فقد استخدم في مواضع التحوّل والتبدّل من حال لآخر كأحوال المنافقين والمشركين والأقوام الذين كذّبوا رُسُلهم ولم يؤمنوا بهم(١٨).

يمكن لنا أن نخلص ممّا سبق، إلى أنّ الفرق الأبرز بين الجملتين هو دلالة الثبوت والاستمراريّة للجملة الاسميّة في مقابل دلالة التجدّد والتغيّر للجملة الفعليّة، وما يلحظ على الجملة الاسميّة هو كثرة اللواحق وتعدّدها تعدّداً واسعاً، ممّا يجعلها أكثر اتساعاً لحمل كثير من المعاني، والتعبير بالجملة الاسميّة أكثر من التعبير بالجملة الفعليّة؛ حيث إنّ الفعل أثقل من الاسم؛ وذلك لكثرة مقتضياته من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ تركيب الاسم يكون مع الفعل وغيره، ويمكن أن نجد في الجملة الاسميّة تنوّعاً لتأدية معانٍ جديدة كالجمل الاسميّة التي يكون خبرها فعلاً أو جملة اسميّة أو شبه جملة، فتتناسب أنواع الخبر السّابقة مع السّياق الزّمانيّ والمقاميّ فتؤكّد معاني الثّبوت أو التجدّد التي يقصدها منشئ الكلام(١٩).

المبحث الثاني:

الفرق بين الخطاب بالفعل الماضي والخطاب بالفعل المضارع.

لقد عرّف سيبويه الفعل بقوله: "وأمّا الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأمّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحَمِدَ، وأمّا بناء ما لم يقع، فإنّه قولك آمراً: اذهبْ واقتل واضرب، ومخبراً يقتل ويذهب ويضرب، وكذلك بناء مالم ينقطع وهو كائن"(٢٠).

إنّ للزمن دوراً مهمّا في التمييز بين الفعل والاسم من ناحية، وبين الأفعال ذاتها من ناحية أخرى، إذ تحدّث النحاة عن الفعل بصيغه المفردة وتقسيماته الثلاثة: الماضي والمضارع والأمر، فوجدوا صيغة (فَعَلَ) تدل على الزمن الماضي، وصيغة (يَفْعَل) تصلح للحال والاستقبال، وصيغة (افعل) تصلح للحال والاستقبال، على اختلاف في الأدلة ومواطن الاحتجاج، ثم راقبوا هذه الصيغ وهي في سياقات معينة، حيث تسبقها أو تتصل بها بعض الأدوات"(٢١)، فالنحاة ربطوا بين الزمن والصيغة ربطاً وثيقاً، فنجد أبا حيان في تعريفه للفعل يقول: "إنّه يدل على الحدث بلفظه وعلى الزمن في بنيته، أي كونه على شكل مخصوص؛ لذلك تختلف الدلالة على الزمان باختلاف الصيغ ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافهما"(٢٢).

وتجدر الإشارة هنا أنّ الفعل في حالة الإفراد يفيد الزمن القطعيّ الذي لصق به، وهو ما أُطلق عليه (الزمن الصرفيّ)، إلا أنّ للسياق دوره في تحديد الدلالات الزمنية، التي قد تختلف عمّا كانت عليه في حالة الإفراد، فقد تأتي لتفيد أزمنة أخرى مغايرة، تبعاً لنوع الجملة وما فيها من قرائن لفظيّة ومعنويّة وحاليّة(٢٣)، وقد تنبّه إبراهيم السامرائيّ إلى أهميّة السياق في تحديد أزمنة الفعل ودلالاته؛ إذ يقول: "غير أنّ الصعوبة في هذا الأمر أنّ أبنية الفعل العربيّ لا تفصح عن الزمان كما تشير مصطلحاتها، فقد عرفنا أنهم قسّموا الفعل إلى ماضٍ ومضارع (والمراد الحال والاستقبال) وأمر... ولكن الفعل في الاستعمال تتهيأ له أن يجري في طريق آخر، فقد يشار ببناء (فَعَلَ) إلى غير الزمن الماضي، كما يشار ببناء (يَفْعَل) و(فَاعل) إلى دقائق زمنية واضحة"(٢٤).

وقد يدلّ الفعل الماضي على الحال عند وجود قرينة كقوله تعالى: ﴿**ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ**﴾[يوسف: ٥١]، و﴿**قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ**﴾[البقرة: ٧١]، وقد يدل الفعل الماضي على الاستمرار التجدّديّ في الأزمنة الثلاثة ﴿**فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ**﴾[النساء: ١٠٣]، وقد يدل الفعل الماضي على المستقبل، وهو في هذه الحالة يفيد التحقيق: ﴿**وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا**﴾[النبأ: ٢٠]، فالفعل الماضي في الآية السابقة استعمل للدلالة على

Published by Arab Journals Platform, 2019

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

المستقبل على الرغم من صيغته الدالة على المضي، ومن هنا نجد أنّ التعبير القرآنيّ بالماضي الدال على المستقبل مؤكّداً على تحقّق وقوعه، كالآيات التي تتحدث عن مشاهد يوم القيامة والبعث والنشور؛ إذ إنّ المقصود من هذه الآيات هو استثارة العقول للتفكّر في هذا الأمر العظيم واتّخاذ العدة لمواجهة أهواله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[الزلزلة: ١] وتجدر الإشارة هنا أنّ الزمن المستقبل في حقّه تعالى ماضٍ، ومن ثم فإنّ مجيء الفعل الماضي الدال على الاستقبال ناسب المقام الربانيّ كما أنّه ناسب حال المخاطبين بتقريره لحقيقة عَقَدية وهي البعث والنشور[٢٥].

المبحث الثالث:
أحوال الفعل الماضي في التوصيف القرآنيَ لبني إسرائيل.

يدرس هذا المبحث كيفيّات الفعل الماضي في ضوء الأساليب اللغويّة المتنوّعة، مستعرضاً الآيات القرآنيّة، التي جاء بها الفعل الماضي في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل، مبيّناً أثر ذلك الأسلوب في الفعل الماضي، وتغيّر دلالته وفقاً لتلك الأساليب.

المطلب الأول: أسلوب الشرط.

الشرط: هو ربط واقتران أمر بأمر أو حدث بحدث أو هو السببيّة احتمالاً وامتناعاً، والأصل في الشرط أن يكون مستقبلاً؛ لأنه إنشاء[٢٦]، ومن لطائف الأفعال في أسلوب الشرط ما أورده مصطفى جواد؛ إذ يقول: "إنّ الفعل المعبّر عنه بلفظ الشرط إذا كثر حدوثه استعمل الماضي، وإذا قلّ حدوثه استعمل المضارع، فالماضي أولى بالكثير؛ لأنّه كالحدث، والمضارع أولى بالقليل؛ لأنّه لم يحدث، فهما متشابهان"[٢٧]، وقد تنوّعت أدوات الشرط في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل وتعدّدت مدلولات الفعل الماضي معها، ومن ذلك:

- **الشرط بالأداة (لمّا).**

وقد سمّاها الأنطاكيّ أداة الشرط السببيّ الوجوديّ[٢٨].

نجد في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾[البقرة: ٨٩] موقف بني إسرائيل من القرآن الكريم، الذي جاء مصدقاً لما في التوراة[٢٩]، ولعلّ استعمال أداة الشرط (لمّا) هنا تفيد أنّ الفعلين . فعل الشرط وجوابه . قد وقعا في زمن واحد، بغضّ النظر عن مدة ذلك الزمن، وفي هذه الأداة إشارة إلى أنّ الكفر حَدَثٌ ملازم لبني إسرائيل في الماضي، وقد يبقى معهم في الزمن الحاضر، وهو زمان بعثة النبيّ محمّد ﷺ؛ إذ إنّ تكرار فعل الشرط (جاءهم) والجواب (كفروا به)، دلالة على أنّهم لم ولن يؤمنوا برسالة محمّد ﷺ.

والأمر ذاته نجده في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٢٤٦]، في هذه الآية جاء أسلوب الشرط؛ لإثبات زيف ما ادّعى بنو إسرائيل؛ فبعد أن ألحّوا في الطلب من نبيّ لهم بعد موسى عليه السلام أن يجعل لهم قائداً ليمضوا معه إلى القتال[٣٠]، ويرفعوا ما وقعوا فيه من ذلّ واستضعاف وإخراج من الديار، بعد أن كانوا في ديارهم أعزّة، يعلّق القرطبي على هذه الآية: "وهذا شأن الأمم المتنعمة المائلة إلى الدعة، تتمنّى الحرب أوقات الأنفة؛ فإذا حضرت الحرب جُبنت وانقادت لطبعها"[٣١].

فكان أن كتب عليهم القتال إلاّ أنهم (تولوا)، وهنا أفاد الشرط بأداته (لمّا) وفعله الماضي المبني للمجهول (كتب) وجوابه

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

(تولّوا) السرعة في التوافق السريع للحدثين في ذات الزمن دونما إمهال؛ ليؤكّد حقيقة بني إسرائيل المعهودة أيام نبيهم موسى، وأنّها ما زالت فيهم مع نبي لهم بعد موسى.

وتكتمل الصورة بأداة الشرط نفسها في الآيات اللاحقة، فقد جاء الشرط كما يأتي:

الأداة	فعل الشرط	جواب الشرط
فلمّا	فصل	قال: إن الله مبتليكم بنهر
فلمّا	جاوزه	قالوا: لا طاقة لنا

وتظهر هنا قيمة أداة الشرط (لمّا) وتوالي الأحداث وتلاحقها في هذه الآية، لتبيّن في القسم الثاني من الشرط (جاوزه) فعل الشرط و(قالوا) جواب الشرط، أنّ هؤلاء القوم سريعون في إظهار عذرهم في الانخذال[٣٢].

أمّا في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى**﴾[القصص: ٣٦]، ففي هذه الآية التي طلب قوم موسى أن يأتيهم بآية فجاءهم بالعصا واليد[٣٣]، وهي أمر خارق معجز، فكذبوه في الوقت ذاته، وقالوا: إنّه سحرٌ مفترى، وقد أفاد الفعل الماضي في فعل الشرط (جاءهم) وجوابه (كذبوا) وباستخدام الأداة (لمّا)، التي أفادت التشارك للحدثين والتقارب في وقوعهما وهما(المجيء) و(التكذيب) وفي السورة ذاتها: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ**﴾[القصص: ٤٨] جرى الأمر ذاته بأداة الشرط (لما) وفعل الشرط (جاءهم) والجواب (قالوا)، وهذا الفعل ذاته قد حدث مع سيدنا محمّد ﷺ في سياق الحديث عن تكذيبهم له، ولما جاء به من الحق، وألحقوا ما جاء به محمّد ﷺ بما جاء به أخوه موسى تعنتاً وعناداً[٣٤].

وقد أفاد الشرط في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ**﴾[الشّعراء: ٦١]؛ وذلك يفسّر ما كانت عليه أنفسهم من جبن وضعف؛ إذ إن الردّ جاء سريعاً لمجرد الرؤية فقط دونما تفكير أو حتى تروٍّ[٣٥]. ولا يخفى علينا ما أدّته الجملة الاسميّة مقول القول (إنّ+ نا +اللام) المؤكدة (في جواب الشرط) من تأكيد على حقيقة تخاذل بني إسرائيل الواردة في الآيات السابقة.

والأمر ذاته نلحظه في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ**﴾[الأعراف: ١٤٩]، (لمّا) وفعل الشرط (سُقِط) وجوابه (قالوا) ومقول القول أيضاً جملة فعلية شرطية، فعلها مضارع منفي (لم يرحمنا)، وهو بمعنى المضي مؤكداً تبيان ما جرى لهم نتيجة عبادتهم العجل، وقد كرر الفعل الماضي (اتّخذوا) لمزيد من التشنيع عليهم[٣٦].

وقد أورد صاحب البحر المحيط في الفعل (سقِط) بأنّه على أقوال بعض النحويين العرب فعل لا يتصرف، مورداً قولاً للجرجانيّ بأنّ الفعل (سُقِطَ في يده) مما دُثر استعماله[٣٧]؛ إذ إنّ أسلوب الشرط بالأداة (لّمّا) ودلالة فعل الشرط وجوابه، قد بيّنت حالة الندم والحسرة، التي كان بنو إسرائيل يعيشونها.

وفي سورة الأعراف أيضاً نجد أسلوب الشرط قد جاء بالأداة (لّما) التي أفادت السرعة وبيان وقوع جواب الشرط بعلّة من فعله، وذلك كما يأتي: ﴿**فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ**﴾[الأعراف: ١٣٥]، ﴿**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ**﴾[الأعراف: ١٦٥]، ﴿**فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ**﴾[الأعراف: ١٦٦]:

فلمّا	كشفنا	إذا هم
فلمّا	نسوا	أنجينا
فلمّا	عتوا	قُلنـا

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

- **أداة الشرط (كلّما).**

وهذه الأداة تتقارب في معناها مع الأداة (لّمّا) وهي (كلّما)، وقد أفادت في موضعها المعنى ذاته الذي أفادته (لّمّا) وهو الشرطية الظرفيّة الزمانيّة، وقد أدّى الفعل الماضي معنىً جليّاً في ذلك، ومن ذلك ما جاء في الآيات الكريمة الآتية: ﴿**كُلَّمَآ أَوقَدُواْ نَارا لِّلحَربِ أَطفَأَهَا ٱللَّهُ**﴾[المائدة: ٦٤]، ﴿**كُلَّمَا جَآءَهُم رَسُولُ بِمَا لَا تَهوَىٰٓ أَنفُسُهُم فَرِيقا كَذَّبُواْ وَفَرِيقا يَقتُلُونَ**﴾[المائدة: ٧٠]، ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهدا نَّبَذَهُ فَرِيق مِّنهُم**﴾[البقرة: ١٠٠]:

الأداة	الفعل	الجواب
كلّما	أوقدوا ناراً	أطفأها
كلّما	جاءَهم	كذبوا
كلّما	عاهدوا	نبذه

فقد أجملت الآيات السابقة ثلاث صفات لبني إسرائيل، هي: عدم إيمانهم بالله واتّكالهم عليه، وتكذيبهم بالرسل، ونقضهم للعهود.

- **أداة الشرط (لولا).**

أداة الشرط (لولا) تفيد الامتناع للوجود، وقد بانت دلالة استخدامها في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل في سياقه، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَولَا دَفعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعضَهُم بِبَعض لَّفَسَدَتِ ٱلأَرضُ**﴾[البقرة: ٢٥١]، وقد جاءت في الآية السّابقة للحديث عن الناس عموماً مؤصّلة حقيقة كونيّة، وهي إفساد المتمادين في الأرض إذا ما تُرك لهم العنان[٣٨].

وقد أدّت (لولا) في قوله تعالى معنين مختلفين: ﴿**وَلَولَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُ بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَولَآ أَرسَلتَ إِلَينَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ**﴾[القصص: ٤٧] إذ إنّ (لولا) الأولى أفادت الامتناع للوجود وجوابها محذوف، أمّا الثانية فهي تخفيفيّة، وفعلها الماضي (أرسلت) فيه تلطّف مع الله من قبل بني إسرائيل، ولا يخفى دور (لولا) الأولى والمصدر المؤول: (أنْ تصيبهم) بعدها؛ إذ فيه بيان خفيٌّ لحقيقة أولئك القوم؛ إذ إنّهم نسبوا ما حلّ بهم إلى عدم إرسال الرسل[٣٩].

وأمّا في قوله تعالى: ﴿**وَلَولَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيهِمُ ٱلجَلَآءَ لَعَذَّبَهُم فِي ٱلدُّنيَا وَلَهُم فِي ٱلأَخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ**﴾[الحشر: ٤]، فقد جاء الفعل الماضي فعل الشرط (أنْ كتب)، وجواب الشرط (لعذّبهم)، وهي في خطاب القرآن الكريم ليهود بني النظير، الذين نقضوا العهد مع الرسول ﷺ، فقد امتنع العذاب عنهم؛ لوجود الجلاء الذي أمر به الله ﷻ.

- **أداة الشرط (لو).**

فرّق ابن هشام بين الشّرط بـ (إنْ) والشّرط بـ (لو)، يقول: "الشرط بـ(إنْ) سابق على الشرط بـ (لو)؛ وذلك لأنّ الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي عكس ما يتوهّم المبتدئون، ألا ترى أنّك تقول: إنْ جئتني غداً أكرمتك، فإذا انقضى العذر ولم يجئ، قلت: لو جئتني أمسِ أكرمتك"[٤٠].

تفيد (لو) الدلالة على المضيّ، ومن معانيها أنها تفيد السبّبية بين فعل الشرط وجوابه، لهذا فإنّ (المضارع) بعد (لو) بتقدير الزمن الماضي[٤١]، وهي أداة الشرط، التي تفيد امتناع وقوع جوابها لامتناع وقوع فعلها، وقد أدّت هذه الأداة والفعل الماضي معاني ودلالات جليلة في مضانّها، التي سيأتي الحديث عنها تباعاً.

جاء في الآية الكريمة: ﴿**وَلَو أَنَّ أَهلَ ٱلكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَواْ لَكَفَّرنَا عَنهُم سَيِّاتِهِم**﴾[المائدة: ٦٥]، (لو) وفعلها مصدر مؤول

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

وخبرها (فعل ماض) أدّت هذه التركيبة إثباتاً حقيقيّاً من الله بأنّ ما كان بينه وبين بني إسرائيل هو مماثل لما بينه وبين عباده –سبحانه–؛ إذ إنّهم هم منْ يمتنعون عن الإيمان والتوبة عن الكفر فامتنع بذلك وقوع الجواب بالفعل الماضي المقترن باللام (لكفّرنا).

وقد أفادت (لو) الأمر ذاته في الآية اللاحقة: ﴿**وَلَو أَنَّهُم أَقَامُواْ ٱلتَّورَىٰةَ وَٱلإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِم لَأَكَلُواْ مِن فَوقِهِم**﴾[المائدة: ٦٦]، إذ جاءت الأداة (لو)؛ لتؤكد ما كان لبني إسرائيل من كفر بالتوراة والإنجيل، مؤكّدة بالمصدر المؤول: (أنّهم +أقاموا التوراة والإنجيل)، وجاء الجواب بالفعل الماضي المقترن باللام (لأكلوا)، فالآية هنا تؤصل لقناعة راسخة في كفرهم؛ الذي كان سبباً لامتناع الخير عنهم وسبوغ النعم عليهم[٤٢].

وكذا الأمر في آية لاحقة من السورة ذاتها: ﴿**وَلَو كَانُواْ يُؤمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ مَا ٱتَّخَذُوهُم**﴾[المائدة: ٨١]، إذ جاء فعل الشرط فعلاً مضارعاً مسبوقاً بالناسخ الماضوي (كان)؛ ليؤكّد انتفاء وقوع فعل (الإيمان) بالله والنبي وما أنزل إليه، ويؤكّد ذلك أنّهم كانوا قد اتخذوا أولياء من دون الله [٤٣]. قد أدّى التركيب الشرطيّ (لو+ الناسخ الفعل (كان)+ الفعل المضارع) القيمة الرائعة التي قصدها الله من إيمانهم، وهي الإخلاص في الإيمان من غير نفاق، وهي ممّا لا يمكن تحقيقه بالفعل الماضي (آمنوا)، ولعلّ ما يؤكّد ذلك هو جواب الشرط الماضويّ المنفي (ما اتخذوهم أولياء)؛ إذ إنّ موالاة المشركين أكبر دليل على نفاقهم[٤٤].

- **<u>أداة الشرط (مَنْ).</u>**

مَن: وهي أداة الشرط التي تفيد أنّ أصل الشرط لمَنْ هو عاقل، وتبيّن أنّ وقوع فعل الشرط يشترط بصاحبه، وقد برز دورها مع الفعل الماضي في توصيف بني إسرائيل أيّما بروز؛ إذ إنّ المقصود بها بنو إسرائيل أنفسهم الذين يُخاطبون بالشرط، ومن ذلك ما جاء في المواضع اللاحقة:

﴿**فَمَنِ ٱفتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلكَذِبَ مِن بَعدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[آل عمران: ٩٤]، و﴿**مَن قَتَلَ نَفسَا بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَادٍ فِي ٱلأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعا**﴾[المائدة: ٣٢]، و﴿**أَحيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعا**﴾[المائدة: ٣٢]، و﴿**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَة لَّهُ**﴾[المائدة: ٤٥]، و﴿**وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾[المائدة: ٤٥]، و﴿**وَمَن لَّم يَحكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلكَٰفِرُونَ**﴾[المائدة: ٤٤].

يتّضح لنا من خلال استعراض أفعال الشرط السابقة: (افترى، قتل، أحيا، تصدّق، لم يحكم، لم يحكم) نجد أنّها أفعال ملازمة لبني إسرائيل متأصّلة فيهم، وقد أدّى الفعل الماضي في الآيات الأربعة الأولى دلالة رائعة في بيان مضي الحدث وانقضائه قاطعاً القول بأنْ لا فائدة من التطلّع للمستقبل، على الرغم من دلالة الشرط عموماً على المستقبل[٤٥]؛ وأمّا الآيتان الأخيرتان فقد جاء فعل الشرط فعلاً مضارعاً منفيّاً، والفعل المضارع المنفي لا يدل على المضي وحسب، بل فيه معنىً للضد، فالفعلان (لم يحكم) (لم يحكم) تحملان معنى كالآتي: لم يحكم بما أنزل الله = حكم بغير ما أنزل الله [٤٦].

- **<u>أداة الشرط (إنْ).</u>**

أداة الشرط (إنْ) تقترن بالشرط المستقبليّ، والشرط بها قائمٌ على السبّبية الاحتماليّة، وهي من أدوات الشرط التي تقلب الزمن الماضي إلى المضارع، يقول ابن يعيش مورداً قول المبرد: "إنّما ساغ ذلك في (كان)؛ لقوة دلالتها على المضي، وأنّها أصل الأفعال وعبادتها، فجاز لذلك أنْ تقلب في الدلالة (إنْ)، ولذلك لا يقع شيء من الأفعال غير (كان) بعد (إنْ) ومعناه

المضارع"[٤٧]. وقد جاء أسلوب الشرط بالأداة (إن) في التوصيف القرآني لبني إسرائيل في المواضع الآتية: ﴿**قَالَ هَل عَسَيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ**﴾[البقرة: ٢٤٦]، ﴿**وَإِن لَّم يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[المائدة: ٧٣]، ﴿**لَئِن أُخرِجُواْ لَا يَخرُجُونَ مَعَهُم وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُم وَلَئِن نَّصَرُوهُم لَيُوَلُّنَّ ٱلأَدبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**﴾[الحشر: ١٢].

الأداة	فعل الشرط	جواب الشرط
إنْ	كُتِب	ألّا تقاتلوا
إنْ	لم ينتهوا	ليمّسن
إنْ	أُخْرِجُوا	لا يَخْرُجُونَ
إنْ	قُوتِلُوا	لا يَنصُرُونَهُمْ
إنْ	نصَرُوهُمْ	لَيُوَلُّنَّ

نلحظ في الآيات السابقة دلالة أفعال الشرط الماضية: (كُتِب، أخرجوا، قوتلوا، نصروهم) ففي الأولى تظهر المخالفة بين فعل الشرط (كتب) وجوابه (ألّا تقاتلوا)، فبعد أنْ طلبوا من شمعون أنْ يُقيم لهم أميراً وقائداً؛ ليقاتلوا معه الأعداء في سبيل الله، فقال لهم نبيهم، أخشى أنْ يفرض عليكم القتال ثم لا تقاتلوا عدوكم وتجبنوا عن لقائه[٤٨].

- **أداة الشرط (إذا).**

وهي ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمّن معنى الشرط، وتأتي ظرفاً محضاً من غير أنْ تفيد الشرط، فالظرفيّة ملازمة لها سواءٌ أفادت الشرط أم لا.

يقول المراديّ: "كثر مجيء الماضي بعدها مراداً به الاستقبال"[٤٩]، وقد زعم الفرّاء أنّها إذا كانت بمعنى الشرط فلا يكون بعدها إلاّ الماضي"[٥٠]، وقدرت مع فعلها الماضي ثلاثة مواضع هي كالآتي: ﴿**وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمعِ**﴾[المائدة: ٨٣]، ﴿**فَإِذَا جَآءَتهُمُ ٱلحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ**﴾[الأعراف: ١٣١] ﴿**فَإِذَا جَآءَ وَعدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثنَا عَلَيكُم عِبَادا لَّنَآ أُوْلِي بَأس شَدِيد**﴾[الإسراء: ٥].

الأداة	الفعل	الجواب
إذا	سمعوا	ترى أعينهم
إذا	جاءتهم	قالوا
إذا	جاء	بعثنا

المطلب الثاني: النواسخ.

هي قرائن لفظيّة تدخل على السياق فتكسبه معنى الزمن؛ إذ إنّ أبرز فرق بين الجملتين الاسميّة والفعليّة هو الزمن؛ فالجملة الاسميّة لا تحمل دلالة الزمن كما هي الجملة الفعليّة، ولكي تكتسب الجملة الاسميّة معنى الزمن المعين فقد استعانت بهذه الأفعال ووظّفتها وظيفة جديدة وأعطتها خصائص غير تلك التي كانت لها، وقد ذهب النحاة إلى أنّ (كان) بصيغتها تفيد اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي، وتستخدم للدلالة على الزمن الماضي البعيد[٥١]، وابن السرّاج لا يعدّها أفعالاً حقيقيّة، وإنّما هي عنده أفعال اللفظ، يقول: "والضرب الثاني أفعال اللفظ، وليست بأفعال حقيقيّة، وإنّما تدّل على الزمان فقط، وذلك قولك: كان عبد الله أخاك، وأصبح عبدُالله عاقلاً، ليست تخبر بفعل فعله، وإنّما تخبر أنّ عبدالله أخوك فيما مضى،

وأنّ الصباح أتى عليه وهو عاقلٌ"[٥٢].

وتتناول هذه الدراسة نوعين من النواسخ هما: النواسخ الفعليّة والنواسخ الحرفيّة.

أ- **النواسخ الفعليّة.**

لقد أدّت النواسخ الفعليّة دوراً تحويليّا واضحاً في الآيات القرآنيّة، التي احتوت عليها، ففي قوله تعالى: **﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُم يَظۡلِمُونَ﴾**[البقرة: ٥٧].

إنّ ممّا يُلحظ في هذه الآية أنها جمعت بين صيغتي الماضي (ظلمونا) والمضارع (يظلمون)؛ للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر[٥٣]. وقوله تعالى: **﴿لَو كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾**[البقرة: ١٠٢ و١٠٣]، وهذا جارٍ على الأسلوب المعروف في فنون البلاغة من أنّ العالِم بالشيء إذا لم يجرِ على موجب علمه قد ينزل منزلة الجاهل به، ويُنفى عنه العلم كما يُنفى عن الجاهلين[٥٤]. وفي قوله تعالى: **﴿بِأَنَّهُم كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾**[آل عمران: ١١٢]، و**﴿وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾**[آل عمران: ١١٢]، و**﴿كَانُواْ يُستَضۡعَفُونَ﴾**[الأعراف: ١٣٧]، و**﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾**[السّجدة: ٢٤]، نجد الغاية من إدخال الزمن الماضي بوساطة الناسخ الفعليّ (كان)، الذي أريد به تحويل الزمن المضارع . وفقاً لصيغته . إلى ماضٍ، وبالتالي تتّضح لنا القيمة الدلاليّة لإيراد الناسخ، وهي إثبات الصفات المحمولة بأخبارها في الماضي وتأكيد استمرارها في الزمن الحاضر والمستقبل، فكأنما أراد الله ﷻ تبيان صفات بني إسرائيل المتأصّلة وإظهارها، ومن تلك الصفات (ظلمهم لأنفسهم) (ضلالهم وعدم إدراكهم ووعيهم لحقيقة ما يجري حولهم) و(كفرهم وعنادهم) و(اعتداؤهم وتماديهم) و(هوانهم وذلّهم واستضعافهم)، فقد أفاد دخول الناسخ (كان) على الجملة الاسميّة تحويل الزمن لا إحلاله؛ لأنّ الجمل الاسميّة السابقة بأخبارها الفعليّة حوت الزمن المضارع والمستقبل، وبدخول (كان) نجد أنّ القيمة الدلاليّة هي الماضي المتجدّد، فتكون (كان) قد مزجت بذلك بين الزمن والجهة، وتكون بذلك قد عدّدت اتجاهات الزمن الواحد، فالجهة هي التحديد الزمنيّ الجديد، الذي تفيده القرائن في السياق، والذي يُطلق عليه في اللغة الإنجليزيّة (tense) ويقابل اصطلاح الزمن الصرفيّ في اللغة العربيّة، واصطلاح (aspect) يُقابل اصطلاح الجهة، فالجهة إذاً تخصيص لعموم ما في الفعل من حدث وزمن وإسناد[٥٥].

ونجد في آيات أخرى أهميّة الزمن، الذي أضافه الناسخ الماضويّ (كان) على الجملة الاسميّة، التي –في أصل وضعها– تخلو منه، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾**[الأعراف: ١٣٦]، وقوله: **﴿وَكَانُواْ قَوما مُّجرِمِينَ﴾**[الأعراف: ١٣٣] و**﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾**[الأعراف: ١٤٨]، قد أضفى الناسخ على الجمل الاسميّة في الآيات السابقة عنصر الزمن، ويتّضح بذلك لنا أنّ الله ﷻ أراد توطيد صفة الخبر وتأصيلها في الاسم بإرجاعه إلى الجهة التي يحملها الزمن؛ لتأكيد صفات بني إسرائيل: (الغفلة، والإجرام، الظلم، الخسران).

ب- **النواسخ الحرفيّة.**

نلحظ في بعض الجمل الاسميّة المؤكّدة بالناسخ الحرفيّ (إنّ) أنّ خبرها جاء جملة فعليّة، فعلها ماضٍ، وستظهر لنا القيمة الدلاليّة في الأخبار، التي احتوت عليها تلك الجمل، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدى وَنُور﴾**[المائدة: ٤٤]، وقوله: **﴿وَلَو أَنَّهُم أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾**[المائدة: ٦٦]، أكّد التنزيل الحكيم في الآية الأولى: الفعل الماضي (أنزلنا)؛ لبيان وقوع الفعل وإثبات حقيقته، التي أنكرت اليهود، مبيّناً –كذلك– الغاية من إنزالها؛ إذ إنّها تحمل لبني إسرائيل الهدى والنور، وفي الآية الثانية: أفاد الفعل الماضي (أقاموا) في جملة الشرط الامتناعيّة، أفاد نفي وقوع الفعل من قِبل بني إسرائيل؛

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

إذ إنّ عنادهم وتزمتهم كانا سبب حجب الخيرات والرحمة عنهم(٥٦)، وفي قوله تعالى: ﴿**فَٱنتَقَمنَا مِنهُم فَأَغرَقنَٰهُم فِي ٱليَمِّ بِأَنَّهُم كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا**﴾[الأعراف: ١٣٦] أفاد مجيء خبر الناسخ (إنّ) فعلاً ماضياً بيان السبب من الانتقام ومن ثم الإغراق؛ إذ إنّ (الكذب) قديم ماثل في تلك الأمة، ونجد الأمر ذاته في قوله تعالى: ﴿**بِأَنَّهُم كَانُواْ يَكفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ**﴾[آل عمران: ١١٢]، فقد أفاد الفعل المضارع المنسوخ بـ(كان) إثبات الفعل (الكفر) لهم في المضارع وتأكيد استمراريته إلى وقتنا الحاضر(٥٧).

المطلب الثالث: الفعل الماضي المبني للمجهول.

أدّى الفعل الماضي المبني للمجهول في توصيف القرآن الكريم لبني إسرائيل معاني عديدة، ففي قوله تعالى: ﴿**ضُرِبَت عَلَيهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَينَ مَا ثُقِفُوٓاْ**﴾[آل عمران: ١١٢]، حينما أراد الذكر الحكيم إلصاق الذل والهوان ببني إسرائيل بسبب جحودهم آيات الله وإنكارهم لها وقتلهم الأنبياء ظلماً، وتماديهم في الباطل، فقد أدّى بناء الفعل للمجهول الغاية من استحضاره بإطلاقه وعدم إسناده لفاعل بعينه، فقد يعمّ أمر الذلة ابتداءً من الله ﷻ وانتهاءً بكل امرئ يقرأ هذه الآية(٥٨)، وتشمل المكان أيضاً فأيّ مكان وجدوا فيه وأي أرض سيحلون بها لن يظفروا بالعزة، فلن تقوم لبني إسرائيل راية لقيام الساعة(٥٩). وهذه بشارة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين تلخص مسيرة بني إسرائيل طيلة فترة وجودهم.

ونجد الفعلين الماضيين المبنيين للمجهول: (كُتِبَ) و(أُخرجنا) في قوله تعالى: ﴿**قَالَ هَل عَسَيتُم إِن كُتِبَ عَلَيكُمُ ٱلقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَد أُخرِجنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبنَآئِنَا**﴾[البقرة: ٢٤٦]، يلُحظ في خطاب بني إسرائيل أنّهم يجعلون واسطة بينهم وبين الله تعالى؛ إذ إنّهم قد طلبوا من (شمعون) بعد وفاة موسى أنْ يبعث لهم ملكاً، يقاتلون تحت لوائه، ونجد هنا أنّ الفعل (كُتِبَ) قد أدّى معنىً جليلاً، يختصر حكاية القوم، وما كان للفعل تأدية ذلك المعنى ببنائه للمعلوم؛ فقد بيّن أنّ هؤلاء القوم لا يخاطبون الله ولا يستمعون منه مباشرة؛ إذ لابدّ من وجود نبيّ أو ملك. أمّا الفعل (أُخرجنا)، فقد أفاد بناؤه للمجهول أنّه إنّما جاء؛ ليصرف التركيز على جسامة الحدث وعظامته، لا على عظامة المحدث؛ فقد وصلوا إلى مرحلة الهوان والطرد من الديار، وكذلك الفعل (استحفظوا) في قوله تعالى: ﴿**بِمَا ٱستُحفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ**﴾[المائدة: ٤٤)، فالبناء للمجهول أفاد –هنا– أنّ الحفظ لم يكن مكن تلقاء أنفسهم، بل بسبب أمر الله إيّاهم بحفظ كتابه من التحريف والتضييع(٦٠)، وهو عائد على الربانيين والأحبار فقط، الذين استحفظهم التوراة هم الأنبياء(٦١)، وفي قوله تعالى: ﴿**غُلَّت أَيدِيهِم**﴾[المائدة: ٦٤] أفاد البناء للمجهول الإغراق في الدعاء على بني إسرائيل بالدعاء والخذلان، الذي تقسو به قلوبهم فيزدادون بخلاً إلى بخلهم ونكداً إلى نكدهم(٦٢)، وفي قوله تعالى: ﴿**فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيهِم ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِير مِّنهُم**﴾[المائدة: ٧١] كُرّر الفعل الماضي المبني للمجهول مرتين؛ لتأكيد وقوعه، وإنْ لم يكن في المرّة الثانية منهم جميعاً، وتشير دلالة الماضي المجهول –هنا– إلى أنّ الفعل متأصّل فيهم وأنّهم متمادون في الغيّ والفساد بعبادتهم العجل(٦٣)، وفي موضع آخر نجد الفعل (لُعِن) في قوله تعالى: ﴿**لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبنِ مَريَمَ**﴾[المائدة: ٧٨] قد أدّى دلالة واضحة؛ إذ إنّ اللعن مكرور وواقع بأكثر من فاعل لتكرار وقوعه في أزمان عديدة؛ فهم كثيرو العصيان، لا ينصاعون لأمر أنبيائهم(٦٤).

وقد ورد الفعل ﴿**أُوذِينَا**﴾[الأعراف: ١٢٩] على لسان بني إسرائيل، والبناء للمجهول –هنا– يحمل دلالات عديدة، منها: تعدّد الإيذاء وتنوع الامتهان قبل مولد نبيهم موسى عليه السلام واستمراره حتى نبوءته، ومن ذلك الإيذاء قتل أبنائهم واستعبادهم في الخدمة والمهن، فالفاعل معلوم وهو فرعون، وقد صرف حذف الفاعل التركيز على الفعل وبيان عِظمه وجسامته(٦٥). وأفاد

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

الفعل المبني للمجهول (ذُكّروا به) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾[الأعراف: ١٦٥] الإشارة إلى ما كانوا يتناسون ما يلقيه عليهم الصالحون منهم، وأنّهم لا يذكرون ذلك فيُعاد عليهم غير مرّة.

يمكن لنا أن نخلص ممّا سبق إلى أنّ دلالة الماضي المبني للمجهول كانت في غالبها؛ لبيان أهميّة الفعل دون فاعله، وتأكيد حقيقة الفعل المراد الخلوص إلى معناه.

المطلب الرابع: صلة الموصول.

الأسماء الموصولة بنوعيها –الخاص والمشترك– مبهمة المعنى، ناقصة الدلالة بذاتها، لا يتّضح معناها إلّا إذا وُصِلت بالصلة؛ فهي مفتقرة إلى تلك الصلة، وقد أورد لها النحاة شروط عدة، يجب أن تتحقّق فيها، ومنها: أن تكون خبريّة لفظاً ومعنىً، وأنْ يكون معناها مفهوماً للمخاطب، أي معلومة لديه؛ إذ إنّ فائدة الصلة هي رفع الإبهام من الموصول وتوضيحه للمخاطب.

وقد جاءت صلة الموصول أفعالاً ماضية في غير موضع في سياق توصيف القرآن الكريم لبني إسرائيل، يُمكن لنا أن نستخلصها؛ لتبيان دلالة الفعل الماضي المقصودة وتوضيح الأثر الزمنيّ على الاسم الموصول، لقد وردت أسماء عدة موصولة، ولكلٍّ دلالته، التي تختلف وفق سياق الخطاب.

أ- **<u>الاسم الموصول (الذين).</u>**

ذُكر مراتٍ عديدة للصّلة الجمع (بنو إسرائيل)، وفيما يلي إجمالٌ للأفعال الماضية، التي تصدّرت جملة الصلة: ﴿كَفَرُواْ﴾[البقرة: ٨٩]، ﴿عَرَفُواْ﴾[البقرة: ٨٩]، ﴿ظَلَمُواْ﴾[البقرة: ٥٩]، ﴿ظَلَمُواْ﴾[الأعراف: ١٦٢]، ﴿ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾[البقرة: ٢٤٩]، ﴿هَادُواْ﴾[المائدة: ٤٤]، ﴿كَفَرُواْ﴾[المائدة: ٧٨]، ﴿كَفَرُواْ﴾[المائدة: ٨٠]، ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُستَضعَفُونَ﴾[الأعراف: ١٣٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلعِجلَ﴾[الأعراف: ١٥٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[الأعراف: ١٥٣]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن أَهلِ ٱلكِتَٰبِ﴾[الحشر: ٢، ١١]، ﴿ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ﴾[القصص: ٥]، ﴿ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّورَىٰةَ﴾[الجمعة: ٥].

يتبيّن لنا ممّا مضى حقيقة بني إسرائيل من خلال صفاته، التي اشتملت عليها جمل الصلة، فهم (كافرون) (منكرون للكتاب) (ظالمون) (مستضعفون).

ب- **<u>الاسم الموصول (ما).</u>**

يدلّ في أصل وضعه على غير العاقل، فقد أدّى مع صلته دوراً مهمّاً في بيان الرسالة، التي أنزلت على بني إسرائيل، مؤكداً شرفها وعلوّ منزلتها ممّا يقيم عليهم الحجّة في عدم الارعواء بها والاتعاظ بموجبها، وقد جاءت الأفعال الماضية في صلة الموصول كالآتي:

﴿مَّا عَرَفُواْ﴾[البقرة: ٨٩]، ﴿مَا شَرَواْ بِهِۦٓ﴾[البقرة: ١٠٢]، ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[المائدة: ١٣]، ﴿بِمَا ٱستُحفِظُواْ﴾[المائدة: ٤٤]، ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المائدة: ٤٤ و٤٥]، ﴿مَا قَدَّمَت لَهُم أَنفُسُهُم﴾[المائدة: ٨٠]، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِ﴾[المائدة: ٨١]، ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾[المائدة: ٨٣]، ﴿وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلحَقِّ﴾[المائدة: ٨٤]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَظلِمُونَ﴾[الأعراف: ١٦٢]، ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾[الأعراف: ١٦٥]، ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾[يونس: ٩٣]، ﴿مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾[القصص: ٤٨].

تؤكّد صلة الموصول في الآيات السابقة أهميّة الكتاب، الذي أنزل على بني إسرائيل، وتؤكد أيضا ردة فعلهم إزاءه وتكذيبهم له وإنكارهم وكفرهم به، وفي هذا المقام نجد الغاية الأسمى في الخطاب هي للكتاب السماويّ المنزّل، لا لبني إسرائيل؛

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

إذ إنّ جملة الموصول الماضوية جعلت الفكر ينصرف للكتاب المنزل.

المطلب الخامس: الماضي المؤكد.

يعدّ الفعل الماضي –في أصل وضعه– من أكثر الأفعال تأكيداً؛ وذلك لأنّه يدلّ على زمان انقضى، فالفعل كائنٌ وتامٌ، والجهة فيه ثابتة والحدث قد حصل، ومع ذلك فقد يُراد بالماضي الزيادة في التأكيد، والإثبات بالفاعل، ومن ذلك مجيئه مسبوقاً بالحرف (قد) التي تأتي لتفيد معاني ثلاثة وهي: التحقيق والتوقع والتقريب.

والتحقيق هو المعنى الأول الملاصق لها، وقد قصد النحويون بالتحقيق معنى التأكيد؛ ذلك لأنّ معنى التحقيق بحصول الفعل قائمٌ أصلاً بصيغة الفعل، التي هي صيغة (فَعَل) وإنّما جاءت (قد)؛ لتؤكّد هذا المعنى(٦٦).

وقد جاء هذا المعنى ماثلاً في آيات الذكر الحكيم، التي وصف بها الله تعالى بني إسرائيل، وقد أدّت (قد) التأكيديّة معنيين بارزين: أحدهما جاء في سياق المدح وذكر المزيّة، التي منحها الله لبني إسرائيل، وهو ممّا جاء؛ لإقامة الحجة عليهم، وقد جاءت الأفعال الماضية في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾[المائدة: ٣٢]، و﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[المائدة: ٧٠)، و﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[يونس: ٩٣]، و﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾[الدّخان: ٣٢]، و﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾[الجاثية: ١٦]، يتّضح لنا من الآيات السابقة أنّها جميعها تؤكد على ما ماز الله به بني إسرائيل بأن اختارهم وبوأهم وأخذ ميثاقهم وآتاهم، فكلها أفعال تبيّن المنزلة العالية، التي منحها الله لهم، وقد جاءت تلك الأفعال مؤكدة؛ لتؤكّد حقيقة العدل الإلهيّ، وأن الله لا يميز بين خلقه حتى يستبين منهم الإيمان أو الكفر.

أمّا الدلالة الثانية، فقد جاءت لتأكيد حقيقة بني إسرائيل، التي لم تعد خافيةً على أحد، فقد كفروا بالله ورسله وما أنزل عليهم من كتب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾[المائدة، : ٧١]، و(ضلّوا وأضلوا) ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[المائدة: ١٢]، ﴿وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ﴾[الأعراف: ١٤٩]، وهذه الأفعال كلّها قد تأكّدت من خلال رحلتهم الطويلة مع أنبياء الله، الذين كذّبوهم ولم يؤمنوا بهم، وبذلك التكذيب فقد تأكّد ضلالهم، ويمكن لنا أن نجد المعنى الآخر لـ(قد) . وهو التقريب . ماثلاً في الآيات السابقة، وهي أن تقرّب الفعل إلى الزمن الحاضر، وبذلك تكون قد أكّدت نسبته في الماضي واستمراره إلى ما قبل الحاضر، وفي هذا دلالة استمرار كفرهم وضلالهم وتكذيبهم لأنبيائهم وعدم طاعتهم (٦٧).

المطلب السادس: الماضي المنفي.

للنفي أدوات عديدة منها: (لم، لمّا، ما، لات، لن، ليس، إنْ) ويكثر ورود هذه الأدوات مع المضارع ويقلّ مع الماضي، وأكثر الأدوات وروداً مع الماضي (ما) وتفيد نفي الماضي القريب من الحال(٦٨)، وتكون؛ لنفي وقوع الحدث في الزمن الماضي القريب من الحال، إذا كان جواباً لـ (قد فعل)(٦٩) وقد تدخل (لا) النافية على الماضي، فتنفيه وتتركه على زمنه، أمّا إذا أفادت معنى الدعاء فزمنه الاستقبال(٧٠).

ومن المواضع التي جاء النفي فيها واقعاً في جواب الشرط، قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[المائدة: ٨١] بعد (لو)، وفعل الشرط (كانوا يؤمنون)، فقد جاء النفي –هنا– مكمّلاً لما بدئ به أسلوب الشرط، وهو نفي الإيمان عنهم، الذي يتنافى مع اتخاذ أولئك أولياء لهم؛ فإيمانهم لم يكن خالصاً، فموالاة المشركين هي خير دليل على نفاقهم(٧١).

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُم يَظۡلِمُونَ﴾[الأعراف: ١٦٠] أدّى النفي للفعل الماضي مع جملة الاستدراك التي تبعتها معنى التأكيد، وهذه من عجائب الأسلوب القرآني؛ إذ إنّ النفي . هنا . قد أفاد التوكيد، وهو ما يشبه النفي[٧٢]؛ إذ إنّ نفي المنفيّ إثبات وتأكيد له، وفي موضع آخر نجد النفي قد أدّى معناه الحقيقيّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[القصص: ٣٦]، فقد نفى بنو إسرائيل أنّهم سمعوا بدعوى التوحيد نفياً مطلقاً، وقد شمل النفي كذلك آباءهم وأجدادهم، فقد كشف النفي للماضي عمّا يجول في أنفسهم من تكذيب للدعوى ورفضها، فكيف يفعلون أمراً لم يعهدوا آباءهم ولا أجدادهم عليه؟[٧٣] وهم – بنفيهم سماع ذلك في الزمان السابق؛ ليؤكدوا ويثبتوا أنّ ما جاء به موسى هو بِدعٌ لم يُسبق لمثله فدلّ أنّه مفترى على الله[٧٤]؛ إذ إنّهم لم يسمعوا بمثله لفظاعته[٧٥].

المطلب السابع: المضارع الذي أفاد معنى الماضي.

لقد تمت الإشارة . فيما سبق . إلى أنّ الصيغ الصرفيّة للأفعال ليست مطّردة؛ فقد تدلّ الصيغ الماضية على الزمن الحالي، وقد تدلّ الأفعال المضارعة على الزمن الماضي، ولا يتأتّى ذلك بمعزل عن السياق اللغويّ الملازم للصيغة والمقام الذي أُطلقت فيه الصيغة، ومن أمثلة ذلك: إذا تبع الفعل المضارع (إذ)؛ فهو يعنى الماضي نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الأنفال: ٣٠] وغالباً ما يُراد بالمضارع بعدها حكاية الحال الماضية، نحو قوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾(الأنفال: ١٢)، والسبب في ذلك هو (إذ) فأصل وضعها أن تكون ظرفاً للوقت الماضي[٧٦].

ومن دلالة المضارع على الماضي ما يكون فيه المضارع مسبوقاً بـ (كان)؛ إذ يدلّ على الزمن المستمر، أي أنّ الحدث استمرّ في الزمن الماضي، فالماضي جاء من (كان) والاستمرار من (يفعل) وفي ذلك أيضاً دلالة عميقة وهي أنّ الفعل وقع في الزمن الماضي، ولكنه لم يقع مرّة واحدةً بل استمرّ مدّة من الزمن[٧٧].

وهنالك شكلٌ ثالث لإفادة صيغة المضارع معنى الماضي، وهي أنْ يكون المضارع منفيّاً؛ فنفيه يفيد تقريب الفعل إلى الزمن الماضي، وممّا جاء من ذلك في توصيف القرآن الكريم لبني إسرائيل المواضع الآتية:

قول بني إسرائيل في طالوت: ﴿وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾[البقرة: ٢٤٧]، فقد أفادت صيغة المضارع معنى الفعل الماضي؛ وذلك لأنّها سُبقت بأداة النفي (لم) وكذلك في قوله تعالى على لسان طالوت، مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ﴾[البقرة: ٢٤٩]، فالفعل المضارع المنفي (لم يطعمه) أفاد معنى الماضي، وكأنّ النفي –هنا– يفيد أنّ المتكلم كان يتوقّع غير ما آل إليه أمر المخاطب، فجاء بالنفي ليؤكّد مضي الصيغة. والأمر ذاته نجده في الفعل المضارع المنفي بـ(لم) في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤]، فقد أفاد النفي تأكيد عدم وقوع الفعل في الماضي، على الرغم من ورود صيغته بالمضارع، وهنا ندرك قيمة التعبير بهذه الصيغة؛ إذ إنّ جملة النفي تلك قد أغنت عن ذكر كل ما سوى ذلك، فقد تركت للعقل مساحة كبيرة لتصوّر كل ما حكم به أولئك إلّا ما أنزل الله، واقتران الفعل بأسلوب الشرط أضاف له دلالة أخرى؛ إذ إنّ النفي عن عمل وقع وما يزال يقع.

وفي آية أخرى نجد الأسلوب ذاته، فقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: ٧٣]، فقد أفاد نفي المضارع تأكيد وقوع الفعل في الماضي واستمراره وتكراره، وهو إنكار وحدانية الله والكفر بما جاء به المسيح من ربّه[٧٨]، ومن مظاهر تجلّي النفي للفعل المضارع في قوله الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل في حادثة السامريّ: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[الأعراف: ١٤٨]، فقد ورد النفي كما يأتي:

ألم +يروا ؟ لا + يكلمهم لا + يهديهم

في الموضع الأول يصف الله ﷻ بني إسرائيل بصيغة الاستفهام الاستنكاري نافياً عنهم أنّهم يدركون، وفي الموضعين الآخرين يصف الله تعالى العجل، لافتاً بصفاته إلى بني إسرائيل؛ لإظهار سخفهم وبطلان ما اتّخذوه، وهذا النوع من البلاغة يسمّى: (الاحتجاج النظريّ)[٧٩]، ويستخدم هذا الأسلوب حينما يكون أحد طرفي النّقاش منكراً ومكذباً ما لدى الطرف المقابل، وقد سلب الله تعالى عنه هذين الوصفين دون باقي أوصاف الإلهيّة؛ لأنّ انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم، وانتفاء الهداية يستلزم انتفاء القدرة، وانتفاء هذين الوصفين –وهما العلم والقدرة– يستلزمان باقي الأوصاف، فلذلك خُصّ هذان الوصفان بانتفائهما[٨٠].

وقد أفاد نفي الفعل المضارع تأكيد وقوعه في الماضي أيضاً في قوله تعالى: ﴿**أَلَم يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ**﴾[الأعراف: ١٦٩] فقد، أكّد الله تعالى أخذ ذلك الميثاق على بني إسرائيل بطريقة الاستفهام الإنكاري، الذي يبيّن النتيجة التي آلت إليها حالة الميثاق، الذي نكثوا به ولم يراعوا عهدهم، ونجد في موضع آخر تأكيداً لتركهم التوراة وعدم العمل بما جاء فيها، وقد أدّى المضارع المنفي تلك القيمة بتأكيد وقوع ضد الفعل: ﴿**مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا**﴾[الجمعة: ٥].

أما النوع الثاني من المضارع، الذي أفاد معنى الماضي، فهو المضارع المسبوق بالناسخ (كان) الذي يجيء؛ لتحويل الزمن إلى الماضي، ويؤدي معنىً جديداً، وكأنّه يبيّن لنا أنّ الماضي مازال مستمراً، وأنّ الفعل قد وقع في الزمن الماضي، ولكنّه لم يقع مرّة واحدة بل استمرّ مدّة من الزمن[٨١]، ومن أمثلة ذلك ما جاء في الأفعال المضارعة الآتية:

﴿**بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ**﴾[الأعراف: ١٦٥]، ﴿**وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ**﴾[المائدة: ٧٨]، ﴿**لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ**﴾[المائدة: ٧٩]، ﴿**وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ**﴾[المائدة: ٨١]، ﴿**كَانُواْ يُستَضۡعَفُونَ**﴾[الأعراف: ١٣٧]، ﴿**كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ**﴾[الأعراف: ١٦٠]، ﴿**بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ**﴾[البقرة: ٥٩]، ﴿**فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ**﴾[الجاثية: ١٧]، نلحظ ممّا سبق، القيمة التي أدّاها الفعل المضارع المسبوق بالناسخ (كان)، فقد دلّت على ما كان عليه بنو إسرائيل من صفات وأفعال، وما يمكن أن يستمر منها، وهي –في جلّها– صفات سلبيّة ملازمة لهم، لا يتركونها، وهي: الاعتداء، والكفر، وعدم الإيمان، والاستضعاف، والذلة، وظلم النفس، والفسق، واختلافهم في كثير من الأمور.

المطلب الثامن: دلالة تكرار الاشتقاق في الفعل الماضي.

من الملاحظ في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل أنّ هنالك تكراراً للاشتقاق الفعليّ، فقد ورد ذلك في أربعة مواضع، أدّى فيها ذلك التكرار الاشتقاقيّ معاني جليلة، كلٌّ في موضعه، في قوله تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِن بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ**﴾[الأعراف: ١٦٩، ومريم: ٥٩]، فقد أدّى الفعل الماضي مع فاعله المشتق منه معنى استمرار ما كان عليه اليهود في زمن الرسول محمّد ﷺ، ممّن ورثوا التوراة وبقيت في أيديهم بعد سلفهم، يقرأونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها[٨٢]، وقد ذكر ابن عبّاس أنّهم اليهود؛ إذ تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت من الأب[٨٣].

ونجد التكرار في موضع آخر قد أفاد ردّة الفعل من الله تعالى لبني إسرائيل، في قوله تعالى: ﴿**وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا**﴾ [الإسراء: ٨]، أي إنْ عدتم إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى العقوبة والانتقام[٨٤]. وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿**إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ**﴾[الإسراء: ٧] فالله ﷻ يخاطب بني إسرائيل بأنّ الإحسان والإساءة مردودهما عليكم؛ فأنتم منْ يحصد نتيجة الأفعال، سواءٌ أكانت خيراً أم شرّاً، ولن تنفع أعمالكم الله شيئاً، كما أنّها لن تضيره[٨٥].

وفي قوله تعالى واصفاً بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾[الجمعة: ٥] نجد أنّ الجناس الاشتقاقيّ للفعل الماضي المبني للمجهول ومن بعده الفعل المضارع المنفي (لم يحملوها) قد أدّيا معاً توصيفاً لحال بني إسرائيل، الذين لم يراعوا قيمة ما جاء به لهم نبيهم موسى؛ إذ إنّهم غير عاملين بما في التوراة ولا منتفعين بها، ولا يخفى على المتأمل لهذه الآية القيمة العظيمة التي أفادها التشبيه السيء لبني إسرائيل.

ولعلّ هذه من السمات الأسلوبيّة للنص القرآنيّ في خطابه لبني إسرائيل، فالأفعال المتتابعة ذات التّنوّع السرديّ كانت متلاحقة لدرجة لافتة، ويمكن تفسير تلك الظاهرة تفسيراً نفسيّاً؛ فالقوم المخاطَبون –وقد ثبت عنادهم وتزمّتهم وتكذيبهم للأنبياء والكتب المنزلَة– وقد كثرت تلك الأفعال وتتابعت في سياق توالي الأحداث وتسارعها، ونجد ذلك في غير موضع ومنها: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٥١] ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٣٦] ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾[الإسراء: ٢] ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الجاثية: ١٦].

المطلب التاسع: المصدر المؤول.

إنّ تأويلنا للمصدر المؤول بالمصدر الصريح وبيان موضعه الإعرابيّ يحول دون الوقوف على القيمة الدلاليّة التي حققها مجيء المصدر مؤولاً، فهنالك فرق واضح جليّ؛ إذ إنّ التعبير بالمصدر صريحاً يدلّ على الحدث مجرّداً، وليس في صيغته ما يدلّ على مضيّ ولا استقبال فجيء بلفظ الفعل المشتق منه مع الحرف المصدريّ ليجتمع الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمن، فالمصدر الصريح يكون بؤرة التركيز فيه على جنس الفعل المجرّد (الحدث) لا على الزمن أو منْ يقوم بهذا الفعل.

وقد ورد المصدر المؤول في التوصيف القرآني لبني إسرائيل في مواضع عدة، وكان لعنصر الزمن قيمة مهمة في ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾[المائدة: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾[المائدة: ٤٧]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾[المائدة: ٧٨]، وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا﴾[الأعراف: ١٢٩]، وقوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾[الأعراف: ١٣٧]، وقوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا﴾[الجاثية: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[الحشر: ٣].

أدّت المصادر المؤولة في الآيات الكريمة السابقة الدلالة الزمنيّة ودلالة الفاعل لأفعال قد وقعت، وأراد الله أن يعرف الملأ فاعليها وهي: قولهم الله ثالث ثلاثة وهي: إثبات شركهم بالله، وقتل النفس، والعصيان، والصبر، ومجيء العلم، الجلاء.

فلو جاءت المصادر السابقة صريحة، لدلّت على الحدث دون الزمن، أما في قوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة: ٤٤] فقد دلّ المصدر المؤول –مع دلالته على الزمن– على إظهار الفعل المبني للمجهول؛ تحقيقاً للغرض الذي بُني من أجله.

المطلب العاشر: الفعل (اتخذ) ودلالاته.

يلحظ الدارس للخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل تكرار الفعل (اتّخذ)، والمعنى العام لهذا الفعل هو (الأخذ) ويقترب من معنى

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

(الجَعْل)، وهو فعل متعدّ إلى مفعولين، يتخذه الصرفيون مثالاً للدلالة على صيغة (افتعل)، وقد أصبح الفعل معنىً بذاته، وهو الاتّخاذ، ويحمل –في أكثر الأحايين– معنى سلبيّاً، لاسيّما إذا تعلق الأمر بالناحية العقديّة، وقد وردت في التوصيف القرآنيّ لبني إسرائيل، تبيّن ما آلت إليه عقيدتهم، وما اتّخذوه من معبودات مستحدثة، وقد بان ذلك في عبادتهم العجل: ﴿**ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ**﴾[البقرة: ٥١]، فقد ظهر في مواضع عديدة تعلّقهم بالعجل واتخاذه إلهاً، واتخاذهم الرهبان أرباباً: ﴿**ٱتَّخَذُوٓاْ أَحبَارَهُم وَرُهبَٰنَهُم أَربَابا مِّن دُونِ ٱللَّهِ**﴾[التوبة: ٣١]، وفي المقابل أكّد ﷻ موقفهم من آيات الله، التي اتخذوها هزواً، ويكفي ذلك دليلاً وبرهاناً على كشف زيف عقيدتهم وتكذيبهم للأنبياء والرسل والرسالات(٨٦).

المطلب الحادي عشر: الفعل (آتى) ودلالاته.

لقد ورد الفعلان (آتى، أتى) ومشتقاتهما في النص القرآنيّ؛ للتعبير عن موضوعاتٍ عديدةً، فقد جاءت للتعبير عن الوحي القرآنيّ من الله ﷻ للأنبياء والمرسلين: ﴿**وَقَد ءَاتَينَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكرا**﴾[طه: ٩٩]، وجاءت في مواضع أخرى للتعبير عن تكذيب الكفار للقرآن الكريم بعد إذ جاءهم: ﴿**بَل أَتَينَٰهُم بِذِكرِهِم فَهُم عَن ذِكرِهِم مُّعرِضُونَ**﴾[المؤمنون: ٧١]، وكذلك عبّرت عن المشركين، الذين يدّعون مع الله شركاء: ﴿**أَم ءَاتَينَٰهُم كِتَٰبا**﴾[فاطر: ٤٠، والزّخرف: ٢١]، وللتعبير عن ردّ فعل الكفار من إرسال الرسل ونزول الوحي: ﴿**وَمَا يَأتِيهِم**﴾[الحجر: ١١، والأنبياء: ٢، ويس: ٣٠، والزخرف: ٧، والشّعراء: ٥]، وما يهمنا –هنا– في هذا المقام أنّها جاءت في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل وأهل الكتاب عامّة؛ لتبيان ما أُنزل إليهم من وحي قبل الرسالة الخاتمة، حيث جاءت في مواضع كثيرة سنذكرها تباعاً فيما يأتي: ﴿**خُذُواْ مَآ ءَاتَينَٰكُم بِقُوَّة**﴾[البقرة: ٦٣، و٩٣]، ﴿**سَل بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ كَم ءَاتَينَٰهُم مِّن ءَايَة**﴾[البقرة: ٢١١]، ﴿**أَم يَحسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضلِهِۦ**﴾[النساء: ٥٤] ﴿**وَءَاتَىٰكُم مَّا لَم يُؤتِ أَحَدا مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ**﴾[المائدة: ٢٠]، ﴿**خُذُواْ مَآ ءَاتَينَٰكُم بِقُوَّة**﴾[الأعراف: ١٧١]، ﴿**وَلَقَد ءَاتَينَا بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ ٱلكِتَٰبَ**﴾[الجاثية: ١٦]، ﴿**وَءَاتَينَٰهُم بَيِّنَٰت مِّنَ ٱلأَمرِ**﴾[الجاثية: ١٧].

نلحظ في الآيات السابقة دلالة الفعل (أتى) فيما أنزل الله على بني إسرائيل من التوراة، وتكرار الفعل يؤكّد أنّهم لم يكونوا يؤمنون بذلك الكتاب، ومن خلال السياق نلحظ أنّ الله ﷻ قد أمرهم أن يحافظوا على الكتاب المنزل بكل ما أوتوا من قوة؛ لما فيه نجاتهم وفوزهم في الدارين، ففيه الحكمة وطاعة الله وأنبيائه، وقد نجد (الإتيان) قد حمل أمراً غير الكتاب والحكمة، نجده في مواضع أخرى قد أفاد البينات والآيات والدلائل العديدة، التي أنزلها الله على بني إسرائيل عن طريق أنبيائهم، وهي المعجزات الباهرات والحجج القاطعات: ﴿**سَل بَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ كَم ءَاتَينَٰهُم مِّن ءَايَة بَيِّنَة**﴾[البقرة: ٢١١](٨٧)، التي لم يؤتَ أيّ قوم بمثلها من فلق البحر وإغراق العدد، وتضليل الغمام، وإنزال المنّ والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام: ﴿**وَءَاتَىٰكُم مَّا لَم يُؤتِ أَحَدا مِّنَ ٱلعَٰلَمِينَ**﴾[المائدة: ٢٠](٨٨).

المطلب الثاني عشر: الفعل (لعن).

اللعن: وهو الطرد من رحمة الله(٨٩)، وهو منتهى السخط؛ إذ إنّ الملعون لا رحمة له، وقد لعن الله بني إسرائيل في غير موضع، جزاءً بما عموا، فأفعالهم التي ارتكبوها أغضبت الله ﷻ، وجعلته يطردهم من رحمته، ومن رحمة الله بعباده وعدله المطلق معهم أنّه يورد العلة، التي استوجبت ذلك اللعن واقتضته، فكفرهم وتحريفهم الكلم عن موضعه: ﴿**بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفرِهِم**﴾[البقرة: ٨٨، والنّساء، الآيات: ٤٦، و٤٧، و٥٢]، وافتراؤهم على الله وتطاولهم عليه: ﴿**وَقَالَتِ ٱليَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغلُولَةٌ غُلَّت أَيدِيهِم وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ**﴾[المائدة: ٦٤] ونقضهم المواثيق والعهود: ﴿**فَبِمَا نَقضِهِم مِّيثَٰقَهُم لَعَنَّٰهُم**﴾[المائدة: ١٣]، وعصيانهم لأنبيائهم:

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[المائدة: ٧٨] فتلك الأفعال جعلت من بني إسرائيل قوماً ملعونين محرومين من ألطاف الله، ممسوخين، أحلّت عليهم الذلّة والمسكنة إلى يوم الدين(٩٠).

إنّ المتمعّن في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل يلحظ كثرة الأفعال وتتابعها، وانسجام تباينها لدرجة كبيرة، مع المقام وأحوال المخاطبين، فهي تشكّل ظاهرة أسلوبيّة قرآنيّة، ويمكن لنا أنْ نفسّر ذلك من خلال البعد النفسيّ للقوم المخاطَبين؛ فقد ثبت عنادهم وتعنّتهم وتزمّتهم وتكذيبهم لأنبيائهم وللكتب المنزّلة عليهم، فقد كثرت الأفعال وتتابعت في سياق توالي الأحداث وتسارعها، ونجد ذلك في غير موضع، فمنها على سبيل المثال: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الجاثية: ١٦]، ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾[الأعراف: ١٣٦]، ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنۡهُمۡ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[الأعراف: ١٦٨]، ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾[الإسراء: ٢].

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات:

أوّلاً: النتائج.

لقد توصّلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها ما يأتي:

- تكتسب الأفعال في السياق القرآنيّ دلالتها الزمنيّة من السياق الواردة فيه، لا من بنيتها الصرفيّة فحسب.
- هنالك فرقٌ بيّنٌ بين الزمن والجهة، فالجهة هي التحديد الزمنيّ الجديد، الذي تفيده القرائن في السياق.
- تحوّلات الأفعال في السياق القرآنيّ هي من أبرز الظواهر الأسلوبيّة في التعبير القرآنيّ، وأكثرها وروداً، وتمثّل مظهراً من مظاهر الإعجاز اللغويّ والبيانيّ في القرآن الكريم.
- الخروج عن مقتضى الوضع والمغايرة في الأفعال كشفت –في جلّها– عن دلالات نفسيّة وفكريّة واجتماعيّة، وقد بدا ذلك واضحاً في كشف كنه النفس اليهوديّة.
- كان لأساليب الشرط والنفي والنهي والتوكيد دورٌ كبير في تحديد الدلالة الزمنيّة للأفعال؛ فالقيمة الأدائيّة لتلك الأساليب نَحَت بالزّمن عن أصل وضعه؛ ليتلاءم وأحوال المخاطبين العقديّة والاجتماعيّة والنّفسيّة.
- كثرة الأفعال وتتابعها في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل، وانسجام تنوّعها لدرجة كبيرة مع المقام، فهي تشكّل ظاهرة أسلوبيّة، وتمثّل البعد النفسيّ للقوم المخاطَبين؛ فقد ثبت عنادهم وتعنّتهم وتزمّتهم وتكذيبهم لأنبيائهم وللكتب المنزّلة عليهم.
- جاء الفعل الماضي في الخطاب القرآنيّ لبني إسرائيل مؤكّداً؛ لإضفاء الزيادة وإثبات الفاعل، وبخاصة في مواضع ذكر نِعم الله تعالى عليهم، وفي مواضع التّأكيد على كفرهم وتكذيبهم.
- إن دلالة الماضي المبني للمجهول كانت –في غالبها–؛ لبيان أهميّة الفعل دون فاعله، وتأكيد حقيقة الفعل المراد الخلوص

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

إلى معناه.

- أدّت جملة الصّلة الماضويّة في الخطاب القرآني لبني إسرائيل دلالات عديدة وفقاً للاسم الموصول المستخدم في الخطاب.
- أدّى المصدر المؤول في الخطاب القرآني لبني إسرائيل دلالة الفاعليّة والحدوث، بالإضافة إلى دلالته الزّمنيّة؛ إذْ لو جاءت مصادر صريحة، لدلت على الحدث دون الزّمن.
- اتّخذت بعض الأفعال كـ(اتّخذ، آتى، لعن) في الخطاب القرآني لبني إسرائيل دلالات عقديّة ونفسيّة خاصّة.

ثانياً: التوصيات.

بعد الفروغ من هذه الدراسة؛ ولأجل أنْ تعمّ الفائدة، فتوصي الدراسة بما يأتي:

- ضرورة التركيز على الإعجاز اللغويّ والبيانيّ في القرآن الكريم؛ لما له من أهميّة كبيرة في فهم المقصود من كلّ آية.
- على مفسّر القرآن ألّا يغفل أثر الأساليب اللغويّة المتعددة كـ: الاستفهام، والتوكيد، والنفي، والبناء للمجهول، وغيرها.
- دراسة الآيات القرآنيّة في سياقها المقاميّ ومعرفة أسباب النزول، ووبيان انسجام التركيب مع الغاية والمقصديّة.
- الإفادة ممّا جاء في التوصيف الإلهيّ عن بني إسرائيل، وإدراك صفاتهم وطبائعهم التي حدّث عنها القرآن، ليصار إلى اتّباع أسلوب التعامل معهم في زماننا هذا.

الهوامش.

(١) فرديناند دي سوسير، **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف، مراجعة: مالك المطلبيّ، الموصل، ١٩٨٨م، ص٢٧. وينظر: محمود السعران، **اللغة والمجتمع رأي ومنهج**، الإسكندرية، دار المعارف، ١٩٦٣م، (ط٢)، ص١٢. وينظر: عبد الصبور شاهين، **في علم اللغة العام**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠م، (ط٣)، ص٢٦.

(٢) رمزي البعلبكيّ، **معجم المصطلحات اللغويّة**، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م، (ط١)، ص١١٩.

(٣) خلود العموش، **الخطاب القرآنيّ (دراسة في العلاقة بين النص والسياق)**، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٥م، (ط١)، ص٢٥ وما بعدها.

(٤) فاضل السامرائيّ، **التعبير القرآنيّ**، عمّان، دار عمّار، ٢٠٠٦م، (ط٤)، ص٢٣٧.

(٥) جون لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، ترجمة: عبّاس الوهّاب، بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ١٩٨٧م، (ط١) ص٢١.

(٦) عبد القاهر الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، جدّة، مطبعة المدنيّ، ١٩٩٢م، (ط٣)، ص ٤٩.

(٧) ينظر: سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجيّ للطبعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، (ط٣)، ج١، ص٢٣. وابن هشام، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، قدّم له ووضع هوامشه: إميل يعقوب، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦م، (ط١)، ص١٩. وابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، حقّقه وعلّق عليه: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت، لبنان، دار الفكر، ١٩٩٢م، (ط١)، ص٤٩٠. والتهانويّ (محمد بن علي الحنفيّ)، **كشّاف اصطلاحات الفنون**، وضع حواشيه: أحمد حسن سبح، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، ١٩٧٢م، (د. ط)، ج٣، ص١٤٤-١٤٥.

(٨) الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، المقدمة ق.

(٩) السيوطيّ، (جلال الدين)، **همع الهوامع**، تحقيق وشرح: عبد العال مكرم، الكويت، دار البحوث العلميّة، د.ت، (د.ط)، ج١، ص١١. وينظر: ابن يعيش، (موفق الدين يعيش بن علي)، **شرح المفصّل**، بيروت، لبنان، عالم الكتب، د.ت، (د. ط)، ج١، ص٨.

(١٠) مصطفى جمال الدين، **البحث اللغويّ عند الأصوليين**، دار الرشيد، العراق، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام في ١٩٨٠م،

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

(د.ط)، ص٦٩. وينظر: المنصف عاشور، **بنية الجملة بين التحليل والنظريّة، اللسانيّات**، جامعة تونس، منشورات كليّة الآداب، مجلد ٢، ص٩٢-٩٣.

(١١) فندريس، جوزيف، **اللغة**، ترجمة: القصاص والدواخليّ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٥٠م، (د.ط)، ص٢١٣.

(١٢) ينظر: عماد الشمريّ، **الإسناد بين النحو والبلاغة (دراسة وظيفيّة)**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنيّة، ٢٠٠٨م، ص١٤٤ وما بعدها.

(١٣) الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص٩٩.

(١٤) سناء حميد البياتيّ، **قواعد النحو العربيّ في ضوء نظريّة النظم**، عمان، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، (ط١)، ص١٣٤. وينظر: علي أبو المكارم، **الجملة الفعليّة، الثقافة العربيّة**، (د.ت)، (ط١)، ص٤٠. وينظر: كمال بسيوني، **الجمل النحويّة**، مكتبة النهضة المصريّة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، (ط١)، ص٨.

(١٥) القزوينيّ، (جمال الدين أبو المعالي)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجيّ، بيروت، لبنان، دار الجيل، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، (ط٣)، ج٢، ص١١٣. وينظر: الجرجانيّ، **دلائل الإعجاز**، ص١٧٥.

(١٦) ينظر: علي أبو المكارم، **مقومات الجملة الفعليّة**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، (د. ط)، ص١٧٣.

(١٧) ينظر: يحيى أحمد، **الاتجاه الوظيفيّ ودوره في تحليل اللغة**، عالم الفكر، العدد ٢٠ (٣)، تشرين الأول، ١٩٨٩م، ص٧٧.

(١٨) ينظر: عماد الدين الشمري، **الإسناد بين النحو والبلاغة (دراسة وظيفيّة)**، ص١٣٤. وينظر: شوقي ضيف، **تجديد النحو**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م، (د. ط) ص٢٥٥، وينظر: محمد رزق شعير، **الجملة المحتملة للاسميّة والفعليّة**، مصر، المنصورة، مكتبة جزيرة الورد، د.ت، (د. ط)، ص٢٧ وما بعدها. وفاضل السامرائيّ، **التعبير القرآنيّ**، عمّان، الأردن، دار عمّار، ٢٠٠٦م، (ط٤)، ص٢٢ وما بعدها.

(١٩) ينظر: شوقي ضيف، **تجديد النحو**، ص٣٥٤. وعلي أبو المكارم، **مقومات الجملة الفعليّة**، ص٤٠.

(٢٠) سيبويه، (أبو بشر عمرو بن عثمان)، **الكتاب**، القاهرة، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجيّ للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م، (ط٣)، ج١، ص٢.

(٢١) كمال رشيد، **الزمن النحويّ**، عمّان، الأردن، دار عالم الثقافة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، (د.ط)، ص١٠.

(٢٢) السيوطي (جلال الدين)، **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٧٦م، (ط ١)، ص١٠. وينظر: ابن عصفور الإشبيلي، **المقرّب**، تحقيق: أحمد عبد الستار، العراق، إحياء التراث الإسلامي ورئاسة ديوان الأوقاف، ١٩٧١م، (ط١)، ج١، ص٤٥.

(٢٣) كمال رشيد، **الزمن النحويّ**، ص٢٥.

(٢٤) السامرائي، إبراهيم، **تنمية اللغة في العصر الحديث**، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٣م، (د.ط)، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢٥) خديجة إيكر، **دلالة الفعل الماضي على المستقبل في القرآن الكريم**، ملتقى أهل اللغة، الشبكة الإلكترونيّة، ٢٠١١/١١/١٩م. .www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=5932

(٢٦) سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص٦٩.

(٢٧) كمال رشيد، **الزّمن النّحويّ**، ص٨٨.

(٢٨) محمد الأنطاكيّ، **المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها**، مكتبة دار الشروق، (ط٢)، ج٣، ص٣٩٣.

(٢٩) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص ٦٨. والزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص١٩٠. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج١، ص٤٧٠ و ٤٧١.

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

(٣٠) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٢٤٥ و٢٤٦.

(٣١) القرطبيّ، **تفسير القرطبيّ** ج٣، ص٢٤٥.

(٣٢) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٢٤٦. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٢، ص٢٦٥. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص١٤١.

(٣٣) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٧، ص١١٤.

(٣٤) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ، ج٣، ص٤٢٤. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج٢، ص٤٠٢.

(٣٥) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج٢، ص٣٥١.

(٣٦) **المرجع السابق**، ج١، ص٤٣٧.

(٣٧) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٤، ص٣٩١.

(٣٨) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٣٢٤.

(٣٩) **المرجع السابق**، ج٣، ص٤٢٢.

(٤٠) ابن هشام الأنصاريّ، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ص٣٣٧.

(٤١) **المرجع السابق**، ص٣٣٧.

(٤٢) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٦٩٠. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣٢٦. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٣٦.

(٤٣) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٥٠. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣٣٢.

(٤٤) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٧٠٠.

(٤٥) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٤. والزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٤١٣. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص١٩٩.

(٤٦) كمال رشيد، **الزمن النحويّ** ٢٥٤ وما بعدها.

(٤٧) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٨، ص١٥٦.

(٤٨) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص١٤٠ و١٤١.

(٤٩) المرادي، **الجنى الداني**، ص٣٦٧.

(٥٠) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٤، ص٩٦.

(٥١) القزوينيّ (محمد بن عبد الرحمن)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مكتبة الكليّات الأزهريّة، ١٩٨٤م، (د.ط)، ص٩٦.

(٥٢) ابن السراج، أبو بكر، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٩٧٣م، (د.ط)، ص٨٢ و٨٣. وينظر: الفارسيّ، أبو علي الحسين بن أحمد، **الإيضاح العضديّ**، تحقيق: حسن شاذلي مزهود، جامعة الرياض، عمادة شؤون المكتبات، ١٩٨١م، (ط١)، ج١، ص٩٥. وينظر: الجرجانيّ، عبد القاهر، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: كاظم محمد المرجان، العراق، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٨م، (د.ط)، ج١، ص٣٩٨. وينظر: تمام حسّان، **اللغة العربيّة (معناها ومبناها)**، ص١٣٠. ومحمد الأنطاكيّ، **المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها**، ج١، ص٣١٣.

(٥٣) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٥٣.

(٥٤) ينظر: الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٧٤. والزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص١٩٩. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج١، ص٥٠٤.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12

(٥٥) ينظر: تمّام حسّان، **اللغة العربيّة (معناها ومبناها)** ص٢٦. وكمال رشيد، **الزمن النحويّ**، ص١٠٥.

(٥٦) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٦٧٠. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣١٨.

(٥٧) ينظر: كمال رشيد، **الزّمن النّحويّ**، ص١٠٥ وما بعدها.

(٥٨) ينظر: الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٢٠٢.

(٥٩) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٣٢.

(٦٠) ينظر: الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣١٨.

(٦١) ينظر: الزمخشري، **الكشّاف**، ج١، ص٦٧١. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٢٨.

(٦٢) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٦٨٩. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣٢٥.

(٦٣) ينظر: أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٤٣.

(٦٤) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٦٩٩.

(٦٥) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٢، ص١٣٥. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٤٣١.

(٦٦) ينظر: ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي عبدالله، راجعه: سعيد الأفغانيّ، دار الفكر، ١٩٧٢م، (ط٣)، ج١، ص٣١١.

(٦٧) ينظر: تمام حسان، **اللغة العربيّة (معناها ومبناها)**، ص٢٤٥. ومهدي المخزوميّ، **في النحو العربيّ قواعد وتطبيق على المنهج العلميّ الحديث**، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ، ١٩٦٦م، (ط١)، ص١٣١.

(٦٨) سيبويه، **الكتاب**، ج٣، ص١١٧. وابن السراج، (أبو بكر بن سهل البغداديّ) **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتليّ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م، (ط٣)، ج٢، ص٢٣٣. وينظر: ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٨، ص١٠٧. والزمخشريّ (أبو القاسم محمود)، **المفصّل في علم العربيّة**، بيروت، لبنان، دار الجيل، (ط٢)، ص٣٠٦.

(٦٩) ابن يعيش، **شرح المفصّل**، ج٨، ص١٠٧. وينظر: مصطفى النحاس، **دراسات في الأدوات النحويّة**، الكويت، شركة الربيعان، ١٩٦٨م، (ط٢)، ص٦٣. وتمّام حسّان، **اللغة العربيّة (معناها ومبناها)**، ص٢٤٧، وينظر: كمال إبراهيم بدري، **الزمن في النحو العربيّ**، الرياض، مطبعة التقدّم، ١٩٨٤م، (ط١)، ص١٠٩.

(٧٠) ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج١، ص٣١٥.

(٧١) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٧٠٠. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٣٣٢. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٥٠.

(٧٢) ينظر: أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٤، ص٤٠٦. والزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٢، ص١٦٠.

(٧٣) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج٢، ص٣٩٨.

(٧٤) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٧، ص١١٤.

(٧٥) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٣، ص٤١٥.

(٧٦) ينظر: السيوطيّ، **الأشباه والنظائر**، ج١، ص٢٠٤.

(٧٧) ينظر: كمال رشيد، **الزّمن النّحويّ**، ص٢٤٤.

(٧٨) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٣، ص٥٤٤.

(٧٩) الاحتجاج النظريّ: وهو مذهب كلاميّ ويعني أن يذكر المتكلّم معنى يستدلّ عليه بضرب من المعقول، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَيسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخلُقَ مِثلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلخَلَّٰقُ ٱلعَلِيمُ**﴾[يس: ٨١]، وقيل: هو أن يخرج الاحتجاج على طريقة الحدل وأمثلته كثيرة، وهو من أعلى مراتب الحوار. شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن أيوب

Jordan Journal of Islamic Studies, Vol. 15 [2019], Iss. 1, Art. 12

الزّرعي المعروف بـ(ابن القيم الجوزيّة) (ت ٧٥١هـ)، **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، تحقيق: عطية نايف الغول، عمان، الأردن، دار الجنان للنشر والتّوزيع، ٢٠١٤م، (ط١)، ص١٦٥.

(٨٠) أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٤، ص٣٩١.

(٨١) ينظر: كمال رشيد، **الزّمن النّحويّ**، ص٢٤٤.

(٨٢) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٢، ص١٦٤.

(٨٣) **المرجع السابق**، ج٣، ص٢٨. وينظر: أبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٤، ص٤١٦. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٤٤٤.

(٨٤) ينظر: الزمخشري، **الكشّاف**، ج٢، ص٦٠٨. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج٢، ص١٤٠ و ١٤١ .

(٨٥) الصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج٢، ص١٤١. وينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٢، ص٦٠٨ .

(٨٦) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج٢، ص١٥١. وأبو حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٦، ص١٥٦.

(٨٧) ينظر: الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٢٨١. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص١٢٠.

(٨٨) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٦٥٤.

(٨٩) ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربيّ، ١٩٩٥م، (ط١)، مادة (لعن)، ج١٢، ص٢٩٢.

(٩٠) الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج١، ص٥٥٠ و ٥٥١. والصابونيّ، **صفوة التّفاسير**، ج١، ص٢٥٧.

https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jois/vol15/iss1/12